

ليقول عن يوسف بن قزاوغلي، المعروف بسبط بن الجوزي، صاحب مرآة الزمان، إنه كان يروى لكل من الشيعة وأهل السنة ما يناسب مذهبه، حسب الحاجة ووفرة الأجر. وتحت يدى (قائمة) تحوى أسماء أكثر من ألفى رجل، من الطرفين، حدثوا وكذبوا وفجروا، لوجه الشيطان. ورجاء المال، والتقرب من السلطان، وإلى جانب هؤلاء الرواة الكذابين كان جماعة النساخ، الذين ينسخون الكتب بالأجر لمن يرومها، وكان جل هذه الطائفة من غير ذوى الدين، وكثيراً ما دسوا في الكتب ما ليس منها، حسب حاجة من يدفع الأجر.

فإذا كان ذلك كذلك وجب على أهل العلم الذين يبحثون عن تاريخ الفرق وأصول مذاهبها، أن يكونوا شديدي الحذر، وأن يتوخوا الدقة التامة، وأن يحتاطوا أشد الحيطه في نسبة الآراء والحكم عليها، وأن يقارنوا بين المرويات ويبحثوا أسانيدها، فإنه لذلك وضع السلف الصالح قواعد علم الجرح والتعديل.

ثالثاً: إذا جرينا على طريقة التنايز، وتزييف ما عند أهل السنة من مرويات وما عند الشيعة من مرويات، خرجنا في النهاية "و ليس معنا أهل سنة ولا شيعة، وتعد علينا أن نتفق على صحة شيء، سوى القرآن الكريم، الذي حفظه الله، فسلم للمسلمين من الدس والكيد والتزوير، فليكن هو قبلتنا، وداعينا إلى الوحدة، ولنعبداً على ضوء ما فيه، ولنجعله أساساً لمعاملتنا، ولنحكمه في كل أمورنا، وهو هادينا إلى أمثل سبل العزة إن شاء الله، أما فيما يتعلق بالفروع والجزئيات، فليقتنع كل فريق بما صحيح عنده - إن شاء - من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، غير متعرض لما صحيح عند أخيه، بما يثير الفرقة والقطيعة، فالمسيحيون يختلفون في جوهر دينهم اختلافاً كبيراً، ومع ذلك يسارع الكاثوليك إلى نجدة البروتستانت، ويسارع